دور جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا في ترسيخ فكرة الوحدة بين بلدان المغرب العربي

ASSOCIATION DES ÉTUDIANTS MUSULMANS NORD AFRICAINS (A.E.M.N.A)

الدكتور: عبد القادر كرليل

جامعة الجزائر2

قسم التاريخ

الملخص:

الغرض من هذه الدراسة، وهو إظهار مدى تعلق طلبة دول شمال إفريقيا (تونس، الجزائر، المغرب) بفرنسا، بترسيخ قواعد الوحدة عندما جعلوا من جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا منبرا للمطالبة بتحسين ظروفهم المادية والاجتماعية، حتى يتسنى لهم مزاولة دراساتهم في ظروف عادية وملائمة كبقية الطلبة الفرنسيين، إلا أن مطالب هؤلاء لم تتوقف عند هذا الحد، بل توسعت لتشمل شعوبهم في أقطارهم الأصلية، باعتبار أنها هي الأخرى تعاني من ويلات الاحتلال الفرنسي.

Résumé:

Le but de cette étude, est de démontrer comment les étudiants des pays d'Afrique du Nord (Tunisie, Algérie, Maroc) en France, étaient attachés, à la consolidation des règles de l'unité, quand ils ont fait de l'Association des étudiants musulmans de l'Afrique du Nord une plate-forme pour exiger de meilleures conditions matériels et sociales, afin qu'ils puissent mener à bien leurs études dans des conditions normales et favorables, identiques à celles des étudiants français, cependant, que ces exigences ne sont pas arrêtés à ce stade, étaient élargi pour inclure les peuples autochtones dans leurs pays, car ils souffrent aussi de l'occupation française.

مقدمة :

تأسست جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا في شهر ديسمبر 1927[1]، على يد طلبة الأقطار المغاربية الثلاثة الذين يدرسون بفرنسا، إثر الجهود التي بذلتها الجمعيات الطلابية التي كانت تنشط في بلدان المغرب العربي بشكل انفرادي.

اهتمت الجمعية في بداية نشأتها بأمور الطلبة البيداغوجية منها والمادية والمعنوية، دفاعا عن حقوق الطلبة وتحسين ظروفهم الدراسية، لكنها مع مرور الأيام ومن خلال التوصيات التي خرجت بها مؤتمراتها اللاحقة، يتبين بأن الجمعية الطلابية أرادت أن تذهب بفكرة الوحدة إلى أبعد حد ممكن وذلك بعد انتقالها من فكرة توحيد صفوف الطلبة إلى فكرة تحقيق الوحدة والتوحيد بين شعوب منطقة المغرب العربي بغرض الاستقلال والتخلص من الوجود الاستعماري.[2]

عقدت الجمعية مؤتمرها التأسيسي بقصر التعاضدية بباريس بحضور ممثلي طلبة أقطار المغرب العربي الثلاثة منهم السادة: فرحات عباس ممثل طلبة الجزائر، وصالح بن يوسف، ممثل طلبة تونس، وعلال الفاسي[3]، ممثل طلبة المغرب الأقصى.

كان لفرحات عباس مساهمة كبيرة في وضع أواصر التعاون بين الوداديةبجامعة الجزائر والجمعية بجامعات فرنسا، ولعل هذا ما يبرر تأثر الجمعية بالإستراتيجية التي رسمتها الوداديةإذ سارت على نهجها، ولم تكشف في قانونها الأساسي عن نواياها السياسية، اكتفت فقط بتحديد الأهداف التي تصبو تحقيقها مستقبلا، منها العمل على جمع شمل طلبة شمال إفريقيا والدفاع عن حقوقهم المادية والبيداغوجية وكذا تحسين ظروفهم الاجتماعية من إقامة ومنحة،حتى يتسنى لهم مواصلة دراساتهم بفرنسا في ظروف حسنة[4]

لقد تداولت على رئاسة الجمعية أسماء عديدة من الطلبة الجامعين للمغرب العربي، هذا ما يدل على جو الحوار الذي كان يسود بين الطلبة المغاربة، لقد كان في كل مرة يعين رئيسا من أحد البلدان الثلاثة ونائبيه من البلدين المتبقيين.

أما عن اهتمامات جمعية الطلبة كانت في بداية مشوارها منصبة على قضايا الفكر والثقافة، بما في ذلك تلك التي لها الطابع الاجتماعي إذ اهتمت بشؤون المرأة التي ظلت مهمشة في القوانين الفرنسية المعمول بها في أقطار المغرب العربي، هذه القضايا وغيرها وضعتها الجمعية نصب عينيها وظلت تذكر بها في كل مناسبة تتيح لها، خاصة في توصيات مؤتمراتها التي كانت تعقد سنويا وبطريقة دورية في مدن المغرب العربي.

ولمعرفة حيثيات هذا الموضوع محل الدراسة اعتمدنا على الإشكالية التالية:

ما مدى تبني جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، للفكر الوحدوي، والعمل على ترسيخه ميدانيا ؟

لعل المرجعية الأساسية التي من خلالها يتمكن الباحث من معرفة مدى تبني الجمعية لفكرة ترسيخ الوحدة بين طلبة أقطار شمال إفريقيا الثلاثة، بغرض تحسين ظروفهم المادية والاجتماعية، وإقامة أواصر الوحدة والتعاون مع شعوب أقطارهم الأصلية، هي مجريات جلسات مؤتمرات الجمعية وما أفرزته من توصيات وقرارات في هذا الشأن.

مؤتمرات جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا: (A.E.M.N.A)

إن الحاجة الماسة لتنسيق الجهود والتعاون بين طلبة أقطار المغرب العربي الذين يزاولون دراساتهم في الجامعة بفرنسا، هي التي كانت وراء جمع شمل طلبة بلدان شمال إفريقيا في تنظيم طلابي مشترك عرف باسم، «جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا «، وبمجرد تأسيسه أخذ مسيرو التنظيم الطلابي على عاتقهم تولي مهمة حماية حقوق طلبة مسلمي شمال إفريقيا، وكذا الدفاع عن مطالبهم المشروعة الاجتماعية منها والمادية والبيداغوجية، إذ يقول في هذا الشأن السيد الطاهر الزاوش بصفته رئيس الجمعية ما يلي: « لقد أسست هذه الجمعية لسد حاجة أحس بها طلبة شمال إفريقية المسلمون في ذلك العهد، فبرغم عددهم، الكثير يجهلون بعضهم بعضا، ولا يلتقي الواحد منهم بأخيه إلا بفضل الصدفة على أنه نرى الطلبة من كافة الأقطار لهم جمعيات يلتفون حولها فتلم شملهم وتؤازر الضعفاء منهم، فكيف يتسنى لنا نحن أبناء بلاد واحدة أن نبقى متفرقين وجمع كافة طلبة شمال إفريقيا المسلمين وسط جمعية واحدة بفضلها يتعارفون ويتبادلون عواطف المودة والإخاء وإعانة المعوزين ماديا وتحسين إقامة الطلبة بفرنسا حتى يزداد عددهم بالكليات ...»[5].

كان للطلبة الجزائريين دور فعال في تحضير وإعداد وتنشيط مؤتمرات جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقية، خاصة في ميدان الإعلام وإصدار اللوائح وكتابة البيانات الختامية التي تتضمن التوصيات التي يخرج بها كل مؤتمر جمعية الطلبة، هذا فضلا عن اللقاءات التنسيقية التي ينظمونها بين الحين والآخر مع أشقاءهم من طلبة المغرب العربي (المغرب الأقصى، تونس) للنظر في انشغالات طلبة المغرب العربي وحصرها في لوائح مشتركة ورفعها إلى جهات الإدارة الفرنسية المعنية للنظر والفصل فيها، دون أن ننسى نضالهم الدؤوب والمستمر من أجل تفعيل القضية الجزائرية على المستوى الخارجي

بكسب تأييد زملائهم طلاب المغرب العربي، تعد حقا هذه المؤتمرات من أهم الفضاءات التي استغلها طلبة الجمعية لطرح انشغالاتهم على ذوي الحل والفصل لغرض تحسين ظروفهم الاجتماعية والمادية والبيداغوجية، لضمان دراسة أفضل ونجاح أوفر.

إن دور الطلبة الجزائريين الذي كان فعالا في جمعية الطلبة، لا يتناقض مع فكرة تأسيس الجمعية التي هي من وحي الطلبة التونسيين حسب ما جاء في أحد تقارير السيد الطاهر صفر، أحد مؤسسي الجمعية الذي قال بأن فكرة تأسيس الجمعية كانت بمبادرة من الطلبة التونسيين، لكن سرعان ما تبين لهم بأن نجاح وقوة هذه الجمعية لا تكتملتان إلا بإشراك إخوانهم الطلبة في الجزائر والمغرب الأقصى، إذ جاء في تقريره ما يلي: «في الفترة المتمدرسة الفارطة 1927، عقدت قلة من الشباب التونسي بباريس اجتماعات عديدة لتأسيس جمعية الطلبة، تضم شتاتهم وتربط بينهم المودة ... وبعد إمعان النظر ... قرر أغلبية الجماعة أن يكون في المؤسسة الجديدة حظ لإخواننا طلبة الجزائر والمغرب الأقصى»[6].

وبإعطاء التونسيين لهذه الجمعية البعد المغاربي، عقدوا اجتماعا يوم 15 ديسمبر 1927، وخرجوا في نهاية أشغاله بلائحة ختامية تتضمن المبادئ الأساسية للجمعية، وكذا إعادة النظر في قانونها الأساسي الذي أصبح ذو بعد مغاربي، وبمرور السداسي الأول من سنة 1928، عقدت الجمعية مؤتمرها الأول الذي اجتمع فيه طلبة أقطار المغرب العربي الثلاثة (تونس، الجزائر، المغرب الأقصى) الذين يدرسون في فرنسا، وانهوا اجتماعهم هذا بالمصادقة وبالإجماع على الصيغة الجديدة للقانون الأساسي للجمعية التي تضفي البعد المغاربي على جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بفرنسا.

يذكر أن جمعية الطلبة هذه كان لها نشاطات منذ سنة 1928 على مستوى أقطار المغرب العربي، عملا بمبدأ تحسيس أهالي سكان المغرب العربي، وفي طليعتهم الطلبة بغرض تقبل الفكرة والإقبال الواسع على الجمعية، لأن الجميع كان يدرك بأن مطالب دول سكان المغرب العربي لا تأخذ بجدية من طرف السلطات الفرنسية إلا في إطارها الجماعي وبعدها المغاربي، هذا ما نستشفه مما قاله السيد الشاذلي بن رمضان الذي كان يشغل منصب أمين المال في الجمعية يوم 20 جويلية 1929 بقوله: « ... وان تمتد هذه الحركة المباركة التي لم تلح جليا إلا في الديار التونسية إلى كافة شمال إفريقيا، وسيرنا اليوم أن نعلم قراءنا أن إخواننا من المغاربة والجزائريين بصدد عمل متواصل لبث الدعوة بين أهالي بلادهم»[7].

المؤتمر الأول بين 20 و 22 أوت 1931 بالخلدونية (تونس):

إن الضرورة الملحة للعمل في إطار مغاربي مشترك، دفع بطلبة أقطار المغرب العربي الثلاثة إلى التفكير في عقد مؤتمر يشترك فيه طلبة المغرب العربي وأشقائهم في الجامعات بفرنسا، وحتى وإن يبدو بأن مبادرة انعقاد المؤتمر كانت من الطلبة الجزائريين، والتي تعود إلى سنة 1930 عندما كلف الطالب أحمد بن ميلاد بزيارة جامعة الجزائر للتباحث والتنسيق مع طلبة جامعة الجزائر، نظرا لأهمية الفكرة وصداها المستقبلي في أوساط طلبة أقطار المغرب العربي، رحب بها طلبة جامعة الجزائر، وتم تكليف رئيس فرع طلبة جامعة الجزائر السيد فرحات عباس للسفر إلى باريس في حدود جانفي 1931، لضبط مسألة انعقاد المؤتمر بصفة نهائية ورسمية، وهي المهمة التي وفق فيها بإحرازه على موافقة انعقاد المؤتمر الأول للجمعية.

حضر المؤتمر ممثلين من مختلف أسلاك التعليم، المدرسين منهم والمعلمين وطلبة ثانويات بلدان المغرب العربي، وكذا طلبة الجامعات بفرنسا والجزائر، هذا فضلا عن طلبة الزيتونة والمدارس الإسلامية الحرة بالجزائر، وطلبة القرويين.

كان التمثيل الطلابي في المؤتمر يختلف من بلد إلى آخر، إذ احتلت تونس المرتبة الأولى من حيث العدد، وقد يعود هذا إلى كون تونس البلد المنظم للمؤتمر، وبالتالي ليس في حاجة إلى التنقل، هذا عكس الجزائر التي جاءت في المرتبة الثانية وأخيرا المغرب الأقصى، ولعل ذلك يعود إلى صعوبة تنقل الطلبة من الجزائر والمغرب، بسبب العراقيل التي وضعتها الإدارة الفرنسية في وجههم.

يذكر أن الجزائر شاركت بوفد يتكون من 7 طلبة جامعيين يترأسهم فرحات عباس[8].

احتضنت قاعة الاحتفالات بالخلدونية أشغال مؤتمر الطلبة، تداول خلالها على المنصة ممثلين عن الطلبة للأقطار الثلاثة بدءا بتونس ثم الجزائر وأخيرا المغرب الأقصى، بالنسبة للطلبة الجزائريين، أخذ الكلمة في بداية الأمر عبد الرشيد مصطفاوي، وهو من كلية الآداب، مستهلا كلمته بالشكر على حسن التنظيم والتحضير والاستقبال الجيد، ثم واصل كلمته في شكل دعوة موجهة للحاضرين حث فيها بمواصلة الدرب على أساس توحيد الصفوف بين طلبة أقطار المغرب العربي للوقوف في وجه السياسة الاستعمارية المنتهجة في المنطقة والتي مفادها محو قيم وأصالة وثقافة شعوب المنطقة، مؤكدا في نهاية كلمته من خلال قصيدة شعرية ألقاها على مسامع الحاضرين، أن لشعوب المنطقة قواسم مشتركة تتوفر فيها، ينقصها إلا الاتحاد، والذي به تأتي الحرية والاستقلال لا محال، مما

جـاء في قصيدته :

ترى فيه التعاضد والتآخي ترى فيه المحبة والوئام.

ترى الحرية الحمراء فيه تحبي رفقة الشهيد ابتسام[9].

في الجلسـة الختاميـة قدمـت اللجـان الأربعـة[10]، تقاريرهـا المبدئيـة حـول مـا اتفـق عليـه في جـدول الأعـمال، اسـتمع الحـاضرون بدايـة للتقريـر الـذي قدمتـه لجنـة التعليـم العـالي المتفـرع إلى ثلاثـة تقاريـر بحسـب كل دولة، بالنسـبة للتقريـر الذي قدمـه الطلبـة الجزائريون عـلى لسـان محـي الديـن الشرقـي الذي حـاول فيـه إعطـاء حوصلة عامـة على مجمل المشـاكل والمعانـاة التـي كان يعـاني منها الطلبة المسـلمين سـواء أثناء الدراسـة لقلة الإمكانيـات المادية والبيداغوجيـة وسـوء المعاملة مقارنـة بالطلبة المعمرين أو ما بعد الدراسـة مـن حيث حظوظ العمـل والاندمـاج في المحيط المهنـي، تحديدا خريجي كليـة الحقوق الذين يجـدون الصعوبة في التوظيـف بسـبب الحصـار المفـروض عليهـم في تقلد المناصـب الإداريـة العالية وكذا سـلك القضـاء وفي مقدمتهـا المحاكـم التي تشـترط في موظفيها الجنسـية الفرنسـية.

أمـا الشـطر الثـاني من التقريـر الذي رفعـه ممثلو الطلبـة الجزائريـين، قد ألقي على مسـامع الحضـور عـلى لسـان رئيـس الوفـد الجزائـري الطالب فرحـات عبـاس، الذي اسـتعرض فيه الظـروف الاجتماعيـة التـي يعيش فيهـا الطلبـة الجزائريين وكـذا المعانـاة التي يتخبطـون فيها مـن جراء السياسـة الاسـتعمارية المفروضـة عليهم وعـلى ذويهم.

بعـد الانتهـاء مـن قـراءة التقاريـر المبدئيـة التـي قدمهـا ممثلـو الطلبـة الجامعـين لبلـدان المغـرب العـربي، دائـما في الجلسـة الختاميـة، تولى مقـرر الجلسـة لقـراءة التقرير النهائـي الذي أعدتـه لجنـة التعليم العـالي والذي يتضمـن اقتراحات وتوصيـات طلبة أقطـار المغرب العربي الثلاثـة، ومـما جـاء فيه:

الحد من العراقيل التي يصطدم بها طلبة المغرب العربي للالتحاق بمقاعد الجامعات.

توفير القروض للطلبة.

تقديم الإعانات للطلبة دون تمييز.

المساواة بين الطلبة في الحقوق وفرص العمل بغض النظر عن التخصص المتبع.

تقديم التسهيلات للطلبة الجزائريين للالتحاق بالجامعة بفرنسا.

توسيع الإعانات لطلبة التعليم الثانوي بالجزائر[11].

أما اللجنة الثانية، خصصت للتعليم العربي في شمال إفريقيا، تولى رئاستها فرحات عباس الذي عمل على تنشيط فعاليات هذه اللجنة بهدف إبراز الصورة الحقيقية للتعليم العربي في أقطار المغرب العربي وما يعاني طلبته والقائمين عليه من مشاكل، يذكر بأنه رفعت ثلاثة تقارير في هذا الشأن، تقرير رفعه ممثل الطلبة الفرنسيين على لسان محمد الفاضل بن عاشور الذي أطلع الحاضرين بوضع حال عن الحياة الدراسية للطلبة في جامع الزيتونة، ثم خلص حديثه بالقول أنه أضحى الأمر ضروري على إدخال إصلاحات فورية على المنظومة التربوية بالزيتونة لتحسين ظروف الطلبة، أما ممثل طلبة المغرب الأقصى محمد بن عبد الله تلى على مسامع الحضور التقرير المعد من قبل علال الفاسي والذي يتطرق إلى أوضاع جامعة القرويين والمعانات اليومية التي يعيشها طلبة المغرب الأقصى، مشيرا إلى أن حلها يكون عن طريق الإصلاحات.

أما التقرير الذي أعده الطلبة الجزائريين، قرأه ممثلهم بوعلام علواش نيابة عن عبد الحق الناصري الجزائري، حيث قدم فيه عرضا مفصلا عن الأوضاع السيئة التي يعاني منها الطلبة الجزائريين في المدارس الرسمية، وخاصة المضايقة الشديدة المفروضة على تعليم اللغة العربية من خلال القوانين الجائرة الصادرة في حقها من جهة، وضعف مستوى المؤطرين من جهة أخرى، كما أشار التقرير أيضا إلى وضعية المدارس الشرعية الثلاث الموجودة في كل من الجزائر العاصمة وقسنطينة وتلمسان، وألح على ضرورة رفع مستوى التعليم في هذه المدارس[12].

أما اللجنة الثالثة المخصصة للتعليم الصناعي، فإن معظم التقارير التي أعدها ممثلو طلبة الأقطار المغاربية الثلاثة، تجتمع في مجموعة من المسائل منها أن هذا التخصص ليس في متناول الجميع وإنما تكون فيه الأولوية إلى أبناء المعمرين وأبناء العائلات الثرية، هذا ما حاول فرحات عباس إبرازه في مداخلة أمام لجنة التعليم الصناعي، عندما كشف عن سياسة التمييز التي تمارسها السلطات الفرنسية بما في ذلك ميدان التعليم.

في حين اللجنة الرابعة خصصت لدراسة موضوع تعليم المرأة في بلدان المغرب العربي، إذ ركزت التقارير التي رفعها ممثلو طلبة الأقطار الثلاثة على ضرورة تعليم المرأة وتحسين مستواها الثقافي، بالنظر إلى الأهمية والدور الأساسي اللذين تلعبهما في المجتمع، بالموازاة تعليمها اللغة العربية بدلا من اللغة الفرنسية، وكذا تعليمها شؤون الطبخ والبيت على الطريقة المحلية حفاظا على تقاليدها، وتلقينها دروس في تربية الأطفال والمحافظة على تماسك الأسرة، وحتى يتحقق هذا، يجب توسيع دائرة المدارس الحرة لتعليم البنات المسلمات[13].

خلاصة لما جاء في جلسات المؤتمر الأول لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، يمكن استخلاص مجموعة من الأفكار التي صيغت في شكل توصيات، تقدم إلى جمعية الطلبة لتصنيفها ضمن أهدافها المستقبلية الواجب تحقيقها، منها:

عدم الإفراط في الهوية العربية الإسلامية لشعوب المغرب العربي.

اعتبار اللغة العربية، لغة رسمية لتعليم أبناء وبنات المغرب العربي.

إدخال إصلاحات على المنظومة التعليمية، بغرض تعميم التعليم وكذا تحديث برامجها حتى تكون مسايرة للواقع الاجتماعي.

إدماج المرأة في الحياة العامة، وفتح لها آفاق التعليم.

المؤتمر الثاني بين 25 و 29 أوت 1932 بنادي الترقي (الجزائر):

انعقد المؤتمر الثاني لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، كما كان منتظرا بناء على توصيات المؤتمر الأول السالف الذكر، بالجزائر العاصمة على مدار خمسة أيام من 25 إلى 29 أوت 1932 بنادي الترقي[14].

انطلقت أشغال الجلسة الأولى للمؤتمر الثاني للطلبة يوم 25 أوت 1932 برئاسة فرحات عباس[15]،الذي فسح المجال للسيد قدور ساطور[16]، بصفته الكاتب العام للجمعية بإعطاء إشارة الانطلاقة في كلمة افتتاحية أشاد في بدايتها بالحضور، ثم عرج للحديث عن مسار جمعية الطلبة بالجزائر، وكذا أهم الإنجازات التي حققتها بمساعدة الشعب لها، الذي خلص حديثه بالقول: « فليحي شعبنا في ظل العزة والكرامة»[17].

للتذكير فإن جمعية علماء المسلمين لعبت دورا كبيرا في توجيه خطاب جمعية الطلبة في المؤتمر الثاني للجمعية بدءا باحتضان أشغال المؤتمر في مقر جمعية العلماء وتداول خطباءها على منصة المؤتمر من بينهم الشيخ الطيب العقبي[18]، الذي أشاد بدور الهيئة الطلابية في خدمة قضايا الفكر والثقافة، ودعا إلى تلاحم الصفوف وتعزيز التضامن والوحدة بين الطلبة خدمة لقضايا شعوب المغرب العربي، بغرض استعادة مقومات الشخصية العربية الإسلامية التي طمسها الوجود الاستعماري طيلة تواجده في المنطقة، وبهذا تكون جمعية العلماء قد بلغت رسالتها المتمثلة في نشر الحس الوطني والديني من خلال مشروع العمل الطلابي المغاربي الذي اعتبرته مكملا لمبادئها وأهدافها.

لعل الصلة التي كانت قائمة بين هذا التنظيم الطلابي وجمعية العلماء والتي بدت واضحة من خلال مجريات المؤتمر الثاني للطلبة، جعلت من فرنسا أن تكون أكثر حذر من أي وقت مضى من تحركات ونشاطات جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا([19]).

زيادة عن تواجد الإصلاحيين في جلسات المؤتمر الثاني لهذا التنظيم الطلابي لقد كان للنخبة الليبرالية تواجد واسع هي الأخرى، بل امتد هذا التواجد ليشمل التمثيل المغاربي المعتبر لحضور وجوه طلابية بارزة تدافع على قضايا مغاربية.

بالنسبة للوفد التونسي تشكل من السادة محمد الصالح النيفر، أحمد بن ميلاد، حسن داود، علي البلهوان، الصالح المهيدي، الحبيب تامر، التهامي البناني، الصادق الملوي، محمد الملوي، كان لعلي البلهوان التونسي مداخلة، قدم من خلالها عرضا مفصلا عن حالة التعليم في تونس، مبديا عن عدم رضاه لطريقة التعليم المنتهجة في جامع الزيتونة، وخلص في النهاية إلى القول بأنه لابد من إدخال إصلاحات على طريقة التعليم في تونس في إطار العصرنة وتثبيت القيم الوطنية الناشئة.

أما الوفد المغربي تشكل من السادة :عبد الخالق الطوريس، عبد الحفيظ الشرايبي، ألقى بالمناسبة عبد الخالق الطوريس مداخلة قدم فيها هو الأخر عرضا شاملا عن وضعية التعليم العربي في المدارس بالمغرب الأقصى موضحا عكس ما ذهب إليه الوفد التونسي بأن التعليم في المغرب الأقصى، اتخذ منعرجا جديدا في إطار إصلاحات مستوحاة من تطور مناهج التعليم المعمول بها في مصر وسوريا.

في حين الوفد الجزائري الذي شارك بعدد هائل من ممثلي الطلبة،نذكر أبرزهم السادة فرحات عباس، عبد الرشيد مصطفاي، مفدي زكرياء، توفيق المدني،سعد الدين بن أبي شنب، مصطفى باشا، علي الزاوش، وتولى قراءة المداخلة ممثل الطلبة الجزائريين السيد عبد الرشيد مصطفاي، انصب عرضه في معظمه على وصف الأوضاع المزرية التي يعاني منها الطالب الجزائري في سلك التعليم العربي في كل مراحله في الزوايا والمدارس الابتدائية والثانوية، مبديا في النهاية رأيه للخروج من هذا المأزق الذي يتخبط فيه التعليم بالجزائر، قائلا بأن الحل الوحيد هو إدخال إصلاحات جذرية على المنظومة التعليمية سواء تعلق الأمر بالمواد المقررة أو الطرق البيداغوجية المنتهجة، لكونها لا تتلاءم مع طموحات شعوب المغرب العربي، بل ذهب في مداخلته إلى حد إعطاء بعض الحلول التي يراها مناسبة في هذه الإصلاحات منها:

جعل من التعليم الابتدائي إجباري في المدارس.

إلزامية تدريس تاريخ المغرب العربي.

إجبارية تعلم اللغة العربية في المدارس الابتدائية.

عـلى أن يتلقى الطلبـة الجزائريين دروس اللغـة العربية من الجزائريين الحاملين للشـهادات في اللغة العربية.

فتح المجال للطلبة للالتحاق بالمدارس الثلاثة (الجزائر العاصمة، قسنطينة، تلمسان)[20].

وهكـذا يستشـف مـن خـلال مداخـلات ممثـلي الطلبـة الجزائريـين والتونسـيين والمغرب الأقـصى بـأن المطالب التـي طرحوها في المؤتمر الثاني تشـبه كثـيرا تلك التي طرحـت في المؤتمر الأول المنعقـد بالخلدونيـة بتونـس منها الأوضاع السـيئة التـي يعيش فيها طلبـة أقطار المغرب العـربي لانعـدام الإمكانيـات الماديـة والنقـص البيداغوجـي وغيرهـا مـن المشـاكل التي ظل طالـب المغـرب العربي يتخبط فيهـا، لعل إعـادة التذكير بهـذه المطالب في المؤتمر الثـاني للطلبة يـدل عـلى أن السـلطات الفرنسـية لم تأخذ في الحسـبان هـذه المطالـب ولم تعالجها بعد.

إذا كانـت الجلسـة في المؤتمـر الثـاني التـي ترأسـها السـيد المنجـي سـليم التونـسي والتـي خلصـت إلى مجموعـة مـن الاقتراحـات منهـا:

جعـل مـن اللغـة العربيـة، لغـة رسـمية في مؤسسـات التعليـم، وكـذا توحيـد البرامـج في الـدول المغاربيـة الثـلاث، مـع إجباريـة تدريـس اللغـة العربيـة في سـائر أطـوار التعليم في الأقطـار المغاربيـة الثلاثـة وغيرها مـن المطالب، فإن الجلسـة الثانية التي ترأسـها ممثـل الجزائر عـلي الـزاوش، كانـت هذه الجلسـة عبارة عـن أبواب مفتوحـة ناقش فيهـا الطلبـة العديد من القضايـا، ولعـل مـن بـين القضايا التـي نالت القسـط الأوفـر في عمر هـذه الجلسـة هي تلك التـي جـاءت في التقريـر الـذي تـلاه عـلى مسـامع الحضـور الممثـل التونـسي أحمد بـن ميلاد، الـذي تضمـن الفـوارق في الحظـوظ الموجـودة بين طلبـة المغرب العربي سـواء في الدراسـة أو في التوظيـف مقارنـة مـع الطلبـة الأوروبيـين وأبناء الفرنسـيين[21].

أمـا النقطـة الثانيـة التـي تسـتحق الذكـر بدورهـا في أشـغال الجلسـة الثانية هـي الاهتمام بموضـوع التاريـخ باعتبـاره مرجعيـة أساسـية في بنـاء قيـم شـعوب المغـرب العـربي وهـو المطلـب الـذي أيـده كل المتدخلـين، التونسـيين أحمـد بن ميـلاد وحسـن داود، والمغـربي عبد الخالـق الطوريـس والجزائريـين سـعد الديـن بـن أبي شـنب ومفـدي زكريـاء، كلهـم أجمعوا عـلى أهميـة تدريـس مـادة التاريخ العـربي والإسـلامي وجعلـه مرجعا هامـا في عمليـة تلقين الثوابـت الوطنيـة، والتصـدي لظاهـرة الإدمـاج والتجنـس ورفضـه لقابليـة الاسـتعمار.

إن الـشيء الملفـت للنظـر في نهايـة أشـغال المؤتمـر الثـاني هـو عندما صعـد المنصـة كل من ممثـل الطلبـة التونسـيين المنجي سـليم ونظيريـه الجزائـري علي الـزاوش والمغربي عبـد الخالق الطوريـس، وتماسـكوا اليـد في اليـد ينـادون جميعـا لتحيى وحدة شـمال إفريقيـا(22).

ومـن عـادات المؤتمرات أنه في نهاية الجلسـة الختامية تقرأ على مسـامع الحضـور التوصيات التـي خـرج بهـا المؤتمر، بناء عـلى هذه التقاليـد رفعت عـلى الحاضرين مجموعة مـن التوصيات التـي كانـت بمثابـة تحصيل حاصـل للمطالـب التـي طرحها ممثـلي الطلبـة للأقطـار المغاربية الثلاثـة منها:

تكوين لجنة دائمة للطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بفرنسا.

انعقاد المؤتمر القادم بالمغرب الأقصى.

العمـل عـلى تحسـين ظـروف الطلبـة في كل مـن تونـس والجزائر والمغـرب الأقـصى ماديا ومعنويـا وبيداغوجيا.

لم تفـترق جمـوع الطلبة الجزائريين بعد نهاية أشـغال المؤتمـر الثاني دون أن يتفـق ممثلي الطلبة عـلى صياغـة مذكـرة يقدمـون فيها جزيـل الشـكر للقائمين عـلى نـادي الترقي،مـكان انعقاد المؤتمر،وسـكان الجزائر على السـواء لحسـن الاسـتضافة لهم ومما جاء فيهـا: « إن التجمع العام للمؤتمـر يقـدم جزيـل تشـكراته لأعضـاء نـادي الترقـي وإلى جمعيـة الطلبة المسـلمين لشـمال إفريقيـا، وإلى سـكان الجزائـر، وإلى الصحافة الناطقة بالعربيـة وبالفرنسـية للمجهودات التي قدمتها مـن أجل إنجـاح فعاليات المؤتمـر »(23).

المؤتمر الثالث بين 26 و29 ديسمبر 1933 بباريس.

لم يعقـد المؤتمـر الثالـث لجمعيـة الطلبة المسـلمين لشـمال إفريقيـا بالمغرب الأقـصى تحديدا بمدينـة فـاس، كـما كان متفقـا عليـه في توصيـات المؤتمر الثـاني المنعقـد بالجزائر، والسـبب في ذلـك يعـود إلى الإدارة الاسـتعمارية التي فضلت بأن تعقد أشـغال المؤتمر الثالـث في العاصمة الفرنسـية باريـس، بـدلا مـن مدينة فـاس المغربية، ربـما الغاية التي تريـد فرنسـا أن تصل إليها مـن خـلال نقل المؤتمر إلى فرنسـا، هـي من أجـل التحكم ومواكبـة كل ما يجري مـن تفاصيل في أشـغال المؤتمـر، للعمـل دون حيلولـة كل ما يـضر وجودهـا في منطقة المغـرب العربي، بعد مـا تبـين لهـا نمـو النزعـة الوحدويـة بـين طلبة أقطـار المغـرب العـربي التـي أخذت تتجسـد فعليـا عـلى أرض الواقـع مـن خـلال مـا أسـفرت عنـه مـن نتائـج أشـغال المؤتمريـن الأول والثـاني المنصرمـين للطلبـة(24)، قبـل أن يغـير رسـميا مـكان انعقـاد المؤتمـر الثالـث للطلبـة،

شرعت اللجنة التحضيرية للمؤتمر برئاسة علال الفاسي في وضع الترتيبات الأولية تحسبا لانعقاد المؤتمر في وقته المحدد في جدول الأعمال ما بين 19 و 23 سبتمبر 1933 بمدينة فاس الذي سيناقش فيه الطلبة مجموعة من القضايا التي طرحت في المؤتمرات السابقة ولم تجد الحل، وهي ضمن الانشغالات الأساسية لجمعية الطلبة منها:

1 تحسين ظروف الطلبة في مختلف المراحل التعليمية وخاصة التعليم الجامعي.

2 إرسال البعثات الطلابية إلى الخارج، نحو المشرق العربي وأوروبا.

3 تكوين المؤطرين في ميدان التدريس.

4 ترسيم تعليم اللغة العربية.

5 إدخال إصلاحات على المناهج وطرق التدريس في كل من جامع الزيتونة والقرويين.

6 تعميم التعليم الابتدائي بالمغرب الأقصى(25).

ولإنجاح المؤتمر أسس له لجنة الدعاية تنشط على مستوى بلدان المغرب العربي بما في ذلك باريس تحث وتدعو الطلبة لرص الصفوف من أجل تجسيد فكرة توحيد النشاط الطلابي في هذه الأقطار بغرض إنشاء قطب يدافع على حقوق الطلبة في بلدان المغرب العربي وشعوبها على السواء في ظل التواجد الاستعماري.

لعل نزعة الوحدة بين طلبة أقطار المغرب العربي التي أخذت تنمو باستمرار، وتخوف السلطات الاستعمارية من تجسيدها على أرض الواقع، هي التي دفعت بالإدارة الفرنسية أن تأمر رئيس بلدية فاس إلى إصدار قرار إداري الموافق ليوم 18 سبتمبر 1933 أي يوم واحد قبل انطلاق أشغال المؤتمر الطلابي الثالث ، يمنع عقد المؤتمر الثالث بمدينة فاس المغربية ويرخص له للانعقاد في العاصمة الفرنسية باريس.

مضمون هذا القرار التعسفي استغله طلبة المغرب العربي وجعلوا منه أرضية للمزيد من تعبئة وتجنيد الطلبة، على حد قولهم بأن ذلك يعد فرصة لنشر دعوة التوحيد بين طلبة المغرب العربي في أوروبا، إذ جاء في نشرة أعمال المؤتمر الثالث: «لهذا المؤتمر صبغة خاصة لم تستلفت إليها أنظارنا في المؤتمرات السابقة وهي أن تنشر الدعوة لطلابنا في البلاد الأوروبية» (26).

فعلا لقد انعقد المؤتمر الطلابي الثالث بفرنسا، كما أردته السلطات الفرنسية، احتضن أشغاله قصر التعاضدية (Palais de la Mutualité) بباريس، الذي علقت في أعلى واجهته لافتة ملونة بثلاثة ألوان وهي الأخضر يرمز إلى تونس والأبيض يرمز إلى الجزائر والأحمر

يرمز إلى مراكش، كتبت عليها بالخط العربي عبارة: »المؤتمر الثالث للطلبة المسلمين لشمال إفريقيا«، انعقد إذن بين 26 و 29 ديسمبر 1933 برئاسة السيد محمد الفاسي وساعده في ذلك الحبيب تامر بصفته كاتبا عاما وكل من فرحات عباس وعلال الفاسي وصالح بن يوسف، وأحمد بلافريج وعبد الرحمن ياسين بصفتهم مسؤولين على الهيئة النظامية للمؤتمر.

وكانت الكلمة الافتتاحية على لسان محمد الفاسي ثم فسح المجال للمتدخلين، بالنسبة للجزائريين تدخل فرحات عباس الذي ثمن الصلة القائمة بين الطلبة وشعوب المنطقة، طالبا بقاء هذه الوحدة ودوامها بقوله: « كنت من العاملين في المؤتمر الأول بتونس والثاني بالجزائر، ومن أهم قواعد المؤتمرات ربط الصلة

والتواصل بين الطلبة والشعب»[27].

في الواقع أن مساهمة الطلبة الجزائريين في جلسات المؤتمر كانت فعالة وقوية على جميع المستويات التنظيمية كانت أو رئاسة الجلسات وحتى تحرير التقارير وتقديم الاقتراحات.

وإذا كان المؤتمر لم يخرج في خطوطه العريضة عن مطالب اللغة العربية والثقافة وإصلاح القضايا البيداغوجية والمادية والمعنوية للطلبة، لكنه توصل إلى تبليغ رسالة ذات بعد سياسي المتمثلة في ترسيخ ثقافة الوحدة بين طلبة بلدان المغرب العربي من جهة وبين شعوبهم من جهة أخرى، وبذلك تولدت ثقة كبيرة بين الطلبة وشعوبهم بسبب سياسة الإدارة الاستعمارية المنتهجة في المنطقة والتي تعمل على تحطيم آمال سكان هذه الأقطار.

خصصت الجلسة الأولى من المؤتمر لموضوع المؤطرين لتدريس اللغة العربية، حيث وجه بالمناسبة نداء إلى شعوب دول المغرب العربي بعدم السماح لأبنائهم بالذهاب إلى مدارس التبشير لخطورتها على الهوية العربية الإسلامية، خلافا لذلك يجب تعزيز البعثات العلمية إلى دول المشرق العربي من أجل التحصيل اللغوي ودوام الربط الحضاري.

كما طرح الطلبة المتدخلين سياسة الحرمان والإقصاء التي انتهجتها الإدارة الفرنسية في حق طلبة شمال إفريقيا الذين يزاولون دراستهم في بلدان المشرق العربي[28].

في حين الجلسة الأخيرة الموافقة ليوم 29 ديسمبر 1933 خصصت لتعليم اللغة العربية في الجزائر في مختلف أطوار التعليم من الابتدائي إلى الثانوي وإلى الجامعي، وحسب تقرير عبد الرحمن ياسين فإن أساليب التعليم المنتهجة في المدارس الجزائرية كانت سببا في تدني المستوى مما أدى إلى الضعف في التحصيل العلمي واللغوي، لهذه الأسباب انتقد المؤتمرون بشدة السياسة الفرنسية المنتهجة في الجزائر بعد أن أقدمت الإدارة الفرنسية في الجزائر

على غلق المدارس القرآنية. في مداخلته تأسف فرحات عباس عما تقوم به فرنسا من أعمال تعسفية في حق الجزائريين الذين حرمتهم حتى من تعليم دينهم من خلال غلقها للعديد من المدارس القرآنية إذ يقول: «وقد أردنا نحن المسلمون أن نسعى في تحسين العلم الديني عندنا بالجزائر، فأسسنا المدارس القرآنية العصرية،ولكن الحكومة أبت ذلك وأخذت تعارضنا في كل خطواتنا»([29]).

مهما يكون الأمر فإن المؤتمر الثالث الذي عقدته جمعية الطلبة بباريس قد حقق نسبة كبيرة من النجاح ليس كما كانت تعتقد فرنسا إذ تمكن من مواصلة تبليغ الرسالة التي دعت إليها المؤتمرات السابقة، وهي تثبيت الفكر الوحدوي في النضال فيما بين الطلبة وشعوبها في أقطار المغرب العربي من أجل نيل حقوقها واسترجاع كرامتها وحريتها.

المؤتمر الرابع 2 أكتوبر 1934 بالخلدونية بتونس:

انعقد المؤتمر الرابع لجمعية طلبة مسلمين شمال إفريقيا في المدرسة الخلدونية بتونس([30]) يوم 2 أكتوبر 1934، على عكس سابقيه من المؤتمرات لقد وجد القائمين على تحضيره صعوبة في عقده من جراء العراقيل التي وضعتها الإدارة الفرنسية التي كانت سببا في تأجيل انعقاد المؤتمر الذي كان من المقرر عقده يوم 18 سبتمبر 1934.

والمميز أيضا في هذا المؤتمر هو حضور الهيئات الرسمية التونسية و غياب ممثلي طلبة المغرب الأقصى، هذا الغياب أرجعه القادري إلى أسباب سياسية ومادية لم يدخل في تفا صيلها .

للعلم فإن مهمة التحضير للمؤتمر أسندت للسيد المنجي سليم، الذي كان أيضا رئيسا له، كما تولى افتتاح أشغال المؤتمر من خلال مداخلة ركز فيها على أهمية الوحدة والتوحيد بين الأقطار الأشقاء الثلاثة، باعتبار أن هذه الوحدة سندها الإسلام والعروبة إذ يقول في هذا الصدد: « يا معشر قوم آمنوا بالوحدة و التوحيد، إن مبدأ هذا المؤتمر هو توحيد الآراء » وإن الغاية السامية التي ترمي إليها وحدة أبناء الأقطار الشقيقة الثلاثة، وحدة بين طلبة المعاهد العصرية والمعاهد القومية الإسلامية، وهي وحدة أسسها الإسلام والعربية » .([31])

يذكر أن مداخلات الوفد الجزائري هي الأخرى كانت كلها تصب في بوتقة الوحدة بين شعوب المغرب العربي، وإن هذا الخيار يعد مكسب شرعي لا يحق التخلي عنه، لعل

مداخلة مفدي زكرياء، المناضل في حزب الشعب خير دليل على ذلك، التي أسماها الباحثون بعقيدة التوحيد والتي وصف فيها وحدة شعوب المغرب العربي في أجمل صور بلاغية لخصها في عشرة نقاط دعا إليها كل طالب من المغرب العربي إلى اعتناقها كما اعتنق الإسلام عقيدة ودينا، والتي يمكن ذكر البعض منها:

آمنت بالله ربا وبالإسلام دينا وبالقرآن إماما وبشمال إفريقيا وطنا واحدا لا يتجزأ.

أقسم بوحدانية الله إنني أومن بوحدة شمال إفريقيا واعمل لها.

الإسلام ديننا فشمال إفريقيا وطننا والعربية لغتنا.

لست مسلما ولا عربيا ولا مؤمنا إذا لم أقدم نفسي ومالي وأمي في سبيل تحرير وطني العزيز شمال إفريقيا.

كل مسلم بشمال إفريقيا يؤمن بالله ورسوله ووحدة شماله فهو أخي وقسيم روحي فلا أفرق بين تونسي وجزائري ومغربي.

كل من عمل للتفرقة بين أجزاء وحدة وطن شمال إفريقيا أعتبره أكبر عدو لي ولوطني وأحاربه(32).

هذا فضلا عن قصائد شعرية ألقاها في سياق خطبته ألهم فيها مشاعر الطلبة، التي تجاوب معها العديد من الطلبة نظرا لما تدعو إليه بكل إخلاص وحرارة إيمان صادق إلى التوحيد بين شعوب المغرب العربي(33).

على الرغم من أن جلسات المؤتمر الرابع للطلبة كانت مبتورة من حضور وفد ممثلي طلبة المغرب الأقصى الذي تعذر له الحضور والمساهمة في أشغال المؤتمر، إلا أنه خرج بقرارات وتوصيات جد هامة، كانت تعكس مدى تأثر المؤتمرين بحرارة وشدة الإيمان بالوحدة والتوحيد بين شعوب المغرب العربي التي دعت إليها جل المداخلات خاصة تلك التي ألقاها مفدي زكرياء والمنجي سليم، وبذلك افترق الحضور مؤمنا وآملا بأن يرى يوما الأقطار الثلاثة حرة ومستقلة عن الوجود الفرنسي الذي يعمل دوما على استغلال شعوب المنطقة ونهب خيراتها الطبيعية.

المؤتمر الخامس من 06 إلى 10 سبتمبر 1935 بتلمسان (الجزائر)

انعقد المؤتمر الخامس لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بمدينة تلمسان الجزائرية على مدار خمسة أيام، عاد شرف الاحتضان إلى كل من النادي الإسلامي ونادي السعادة

التابعين لفرع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمدينة تلمسان اللذين احتضنا معظم جلسات المؤتمر(34).

ما دام المؤتمر انعقد على أرض الجزائر فإنه من الطبيعي أن تلقى الكلمة الافتتاحية من قبل جزائري طبقا لأعراف المؤتمرات الدولية، فوقع الخيار على الشيخ البشير الإبراهيمي الذي أعطى إشارة انطلاق أشغال المؤتمر الخامس للطلبة، ودعا في ذات المناسبة طلبة الأقطار الثلاثة إلى النضال في إطار وحدة شمال إفريقيا دفاعا عن حقوقهم وحقوق شعوبهم المسلوبة من الاستعمار الفرنسي المتواجد في المنطقة مستدلا كلامه بلمحات تاريخية لهذه الوحدة عبر العصور.

وسانده في ذلك الحبيب تامر ممثل الطلبة التونسيين، الذي تحدث طويلا في تدخله على موضوع الوحدة بين شعوب المغرب العربي مؤكدا بأن هذه الوحدة ليست وليدة ظرف ما، وإنما تعود إلى عصور غابرة بحكم الامتداد الطبيعي والمناخي وقواسم مشتركة من لغة ودين وعادات وتقاليد، حيث قال: « إن وحدة الشمال الإفريقي قد أبدها التاريخ وشهدت بها العصور الغابرة، فغفلنا عنها حينا من الزمن، فلنرجعها اليوم أقوى وأمتن من ذي قبل، وهانحن إلا أبناء بلد واحد، ووطن واحد، طباعنا واحدة وعوائدنا واحدة وأمزجتنا مستمدة من تراب واحد وطقس واحد، جمعتنا راية العروبة وعلم الدين الإسلامي، وتجمعنا اليوم آمال واحدة، وإيمان راسخ في مستقبل زاهر لبلادنا، وسنجتمع غدا في وطن واحد وطننا الشمال الإفريقي».(35)

إن مثل هذه الدعوات التي تحث على ضرورة تحقيق الوحدة والتوحيد بين شعوب بلدان شمال إفريقيا، والتي لا تعود بدون شك بالفائدة على الوجود الفرنسي في المنطقة، جعلت السلطات الفرنسية في حالة استنفار.

ولم تتأخر عن الرد عليها على لسان رئيس بلدية تلمسان السيد (فلور) باعتباره المسؤول الأول الذي يحمي القوانين والمصالح الفرنسية في مدينة تلمسان التي تحتضن مجريات المؤتمر الخامس للطلبة، حيث قال إن الحديث عن وحدة الشمال الإفريقي، فالفضل وكل الفضل في هذا يعود إلى فرنسا وبذلك لا يحق أن يكون خارج قوانين الجمهورية الفرنسية، ومما جاء في حديثه ما يلي: "إن وحدة الشمال الإفريقي يشهد بها التاريخ، وأن فرنسا هي التي وحدت الشمال الإفريقي، وأن توحيد الشمال الإفريقي يكون تحت راية الجمهورية الفرنسية".(36)

إلا أن هذا لم يزعزع ولو بصيص من الشعور بالوحدة لدى أوساط الشريحة الطلابية

لبلدان شمال إفريقيا المتشبعة بالوعي الوحدوي الذي أخذ يزداد ترسيخا وباستمرار في أذهان طلبة المغرب العربي بسبب الارتباط المتين الذي يربط العديد من الطلبة بتيارات الحركة الوطنية التي تعرفها منطقة شمال إفريقيا على وجه التحديد الاتجاه الاستقلالي.

حتى تتجسد هذه المطالب على أرض الواقع، انتبهت لجنة المؤتمر إلى العراقيل المحتملة التي قد تضعها الإدارة الفرنسية بغرض إفشال هذه المطالب، ولذا سعت لجنة المؤتمر إلى توجيه نداء إلى الحاكم العام في الجزائر جول قاسطون هنري كارد(Jules Gaston Henri Carde) الذي كان على رأس الإدارة الفرنسية في الجزائر بين سنوات 1935-1930 تدعوه إلى عدم اللجوء إلى الأساليب القمعية والإجراءات التعسفية التي قد تعيق تحقيق هذه المطالب على أرض الواقع، كما هو الشأن بالنسبة للقانون الذي أصدرته الإدارة الفرنسية سنة 1898 الذي يمنع التعليم العربي ويدعو إلى متابعة رجالاته.

للعلم فإن محتوى جدول الأعمال الذي أعدته لجنة التحضير للمؤتمر فإنه لم يخرج عن مضمون جداول الأعمال التي عرفتها المؤتمرات السابقة، إذ كانت تدور أشغال الجلسات حول تحسين أوضاع الطلبة البيداغوجية منها والمادية والاجتماعية وكذا الدعوى إلى الرفع من مستوى التحصيل العلمي بغرض محاربة الأمية المنتشرة في أوساط شعوب المغرب العربي للرفع من درجة الوعي الذي يمكن استعماله كسلاح لتحقيق الوحدة في المنطقة للتخلص من الوجود الاستعماري على أراضي بلدان شمال إفريقيا.

المؤتمر السادس من 21 إلى 27 أكتوبر 1936 بتيطوان (المغرب الأقصى)

انعقد المؤتمر السادس لجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بالمغرب الأقصى طبقا لتوصيات المؤتمر الخامس المنعقد بعاصمة الزيانيين، مدينة تلمسان الجزائرية، وهذا ما بين أيام 21 و 27 أكتوبر 1936[37].

غير أن التوصيات التي خرج بها مؤتمر تلمسان، خاصة تلك التي تدعو صراحة إلى رص الصفوف بين طلبة الأقطار المغاربية من جهة وبين شعوب بلدان المغرب العربي من جهة أخرى، للنضال من أجل وحدة أقطار المنطقة، هذه التوصيات ترجمتها الإدارة الاستعمارية بالأمر الخطير الذي يهدد كيان الاستعمار الفرنسي في بلدان المغرب العربي.

ولذا جندت مسؤوليها الإداريين في المنطقة وجعلتهم في حالة استنفار، ودعتهم لتولي الإشراف على جلسات المؤتمر السادس حتى يتسنى لهم التحكم في توجيه مجريات المؤتمر

حسب أهواء الإدارة الفرنسية وخدمة المصالح الاستعمارية وليس العكس، كما حدث في باقي المؤتمرات الطلابية السابقة.

تجسيدا لهذه الفكرة، شرع المقيم العام الفرنسي في المغرب الأقصى المدعو (بيروتون) في اتصالات مع الطلبة من خلال مراسلة مؤرخة بتاريخ 4 أكتوبر 1936، اقترح فيها المكان الذي سينعقد فيه المؤتمر وهو مدينة الرباط بدل مدينة فاس، وكذا التاريخ المحدد بيوم 12 أكتوبر 1936، كما أبدى لهم في ذات المراسلة دائما على استعداده في تولي إدارة جلسات المؤتمر([38]).

غير أن هذه الاقتراحات لم تتلق استجابة من جمعية الطلبة، بحيث أن القائمين على التحضير للمؤتمر رفضوا مقترحات المقيم العام الفرنسي بالمغرب الأقصى السيد بيروتون، بل اعتبروها تدخلا مباشرا في شؤون الطلبة المغاربة، وتحديد من نشاط الحركة الطلابية، يتجلى هذا واضحا من خلال الرسالة التي بعث بها رئيس جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا السيد المنجي سليم إلى السيد بيروتون يرفض فيها مقترح المقيم العام الداعي إلى ترأس جلسات المؤتمر السادس للطلبة، وكذا الرسالة التي نشرتها لجنة المؤتمر في جريدة الأمة تستنكر فيها للجنة تدخل المقيم العامة بالمغرب الأقصى معتبرة ذلك مساسا بطبيعة المؤتمرات التي تعقدها جمعية الطلبة والتي هي ذات مدلول علمي لا غير، ومما جاء في مضمون الرسالة المنشورة في الجريدة ما يلي: »إننا نحتج بشدة ضد المنع الملبس لمؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين الذي أصدره المقيم العام بالرباط بعدما منح لنا الرخصة المطلقة، وكذلك لمجرد امتناع لجنة المؤتمر من تحويل وضعية المؤتمر التي يجب أن تبقى دراسة علمية محضة«.([39])

ولضمان انعقاد المؤتمر السادس والإفلات من يدي الإدارة الفرنسية التي أخذت تنسق تحركاتها في الأقطار الثلاثة لمنع الرخص للطلبة للالتحاق بالمغرب الأقصى بغرض إفشال المؤتمر، سعى عبد الحق الطوريس لدى الإدارة الإسبانية وتحصل على موافقة انعقاد المؤتمر السادس في مدينة تيطوان المغربية التابعة إداريا للحكومة الإسبانية، وبناء على هذه الموافقة حدد تاريخ انطلاق أشغال المؤتمر المتمثل في يوم 21 أكتوبر 1936.

إلا أن هذا المؤتمر لم يكن كسابقيه من حيث نسبة حضور الطلبة بسبب العراقيل التي وضعتها الإدارة الفرنسية في بلدان المغرب العربي الثلاثة إذ غاب الطلبة الجزائريين عن المؤتمر بعد أن تأخرت الولاية العامة منحهم جوازات السفر في الوقت المناسب، وحضور عدد قليل من الطلبة التونسيين.

على الرغم من الحضور المتواضع للطلبة في غياب الوفد الجزائري، وعدد قليل من التونسيين إلا أن أشغال المؤتمر انطلقت في التاريخ والمكان المحدد بن وتدارس فيه الحاضرون وضعية التعليم في منطقة المغرب العربي والمناهج المستعملة، مؤكدين في توصيات المؤتمر على ضرورة الرفع من التحصيل العلمي في المدارس التعليمية للرفع من مستوى الوعي الذي يعد اللبنة الأساسية لبناء صرح مغاربي مشترك في إطار الوحدة والتوحيد فيما بين شعوب بلدان شمال إفريقيا.

خاتمة :

وبانتهاء المؤتمر السادس، تنتهي المؤتمرات الرسمية التي كانت تعقدها جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، إلا أن هذا لا يعني توقف الجمعية الطلابية عن نشاطها وتخليها عن البعد الوحدوي لطلبة شمال إفريقيا المسلمين وشعوبها، التي سطرته لنفسها كمبدأ أساسي لا رجعة فيه، بل واصلت نضالها في خدمة الشريحة الطلابية تجاوبا مع الظروف والأوضاع السياسية.

حيث عرف نشاطها نوع من الفتور خلال الحرب العالمية الثانية وإلى بداية الخمسينيات مرور بأحداث 8 ماي 1945، ففي 1950 رفع عليها التجميد، وشرعت من جديد في نشاطاتها، وتجسد ذلك اجتماع مشترك في تونس، وهو اللقاء الذي توصل فيه الطلبة إلى وضع برنامج جديد لجمع شمل طلبة شمال إفريقيا وإبقاءها على فكرة الوحدة.

إلا أن النضال الطلابي في بداية الخمسينيات، لم يكن على نفس وتيرة النضال في العشرينيات والثلاثينيات، فإنه بعد تبلور الاتجاه التحرري للطلبة، أصبح النضال الطلابي جزء لا يتجزأ من عمل الأحزاب السياسية في بلدان المغرب العربي، إن مثل هذا الخيار لم يكن سهلا على الطلبة المغاربة، إذ كلفهم بمتابعة الإدارة الاستعمارية لنشاطات الجمعية الطلابية، هذا ما يؤكد إقدام الإدارة الفرنسية على منع الجمعية من عقد مؤتمرها المقرر عقده في تونس سنة 1952.

غير أن المستجدات السياسية التي عرفتها المنطقة في بداية الخمسينيات حالت دون إبقاء هذا التنظيم الطلابي، وكانت البداية من الطلبة التونسيين الذين انساقوا وراء قادتهم السياسيين الذين رفعوا لواء النضال من أجل الاستقلال وأسسوا لوحدهم تنظيم يدعى »اتحاد العام للطلبة التونسيين« في شهر جويلية 1952، وحذا حذوهم في ذلك الطلبة الجزائريين الذين أسسوا »الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين« سنة 1956، في خضم

الثـورة التحريريـة بعـد أن تبين لهم بـأن لا الطلبة التونسـيين ولا المراكشـيون الذين سـبق لهم بدورهـم وأن أسسـوا »الاتحـاد الوطني للطلبة المغاربة« (المراكشـيين) في سـنة 1955، يرغبون في مواصلـة النضـال الموحد.

مهـما يكـن من أمر فـإن جمعية الطلبة المسـلمين لشـمال إفريقيا قـد سـاهمت في تعبيد طريق الوحـدة بين شـعوب بلـدان المغرب العـربي من أجل الاسـتقلال، إذ كانت مؤتمـرات الجمعية الطلابيـة التـي تعقـد سـواء في تونـس أو الجزائـر أو المغـرب الأقـصى فرصة لتبـادل وجهات النظـر في قضيـة الوجود الاسـتعماري في المنطقة من جهـة، وتوحيد الخطـاب المتضمن لمفاهيم الوحـدة والتضامـن مـن أجل اسـتقلال بلدان المغـرب العربي من جهـة أخرى.

الهوامش:

1. – جريدة المجاهد، الصادر بتاريخ 8 / 08/ 1960، العدد 74.
2. – محمد بلقاسم، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910 1954، رسالة الماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر،1994، ص 191.
يعد صالح بن يوسف أحد أقطاب الحزب الدستوري في تونس وهو من المقربين للحبيب بورقيبة.
3. – كان له دورا فعالا في الحياة السياسية للمغرب الأقصى، وهو من حماة فكرة توحيد بلدان المغرب العربي، وهو أيضا أحد صانعي مؤتمر طنجة المنعقد بالمغرب الأقصى سنة 1958 بصفته رئيس حزب الاستقلال المغربي.

4. - CATRICE (Paul), Étudiants musulmans en France in : en terre d'islam, Mai – Juin 1932, N°54, p. 178.

5. – أحمد القصاب، تاريخ تونس المعاصرة 18811956، تعريب حمادي الساحلي، قرطاج تونس، 1986، ص 500.
6. – جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا، النشرة السنوية 1928 / 1929، المطبعة التونسية سوق البلاط، تونس 1929، ص 15.
7. – جمعية الطلبة، النشرة السنوية 1928 / 1929، المرجع السابق، ص 14.
8. – وهم على التوالي: فرحات عباس طالب في كلية الطب، محي الدين الشرقي طالب في كلية الحقوق، الشريف بن الحاج سعيد طالب في كلية الحقوق، عباس القلي طالب في كلية الحقوق، عبد الرشيد مصطفاوي طالب في كلية الآداب، بوعلام علواش طالب في كلية الآداب، الهادي مصطفاوي طالب في كلية الحقوق.

9. – جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا بفرنسا، نشرة محاضر جلسات المؤتمر الأول، المطبعة الأهلية، تونس، 1931، ص 11.
10. – وهي لجنة التعليم العالي، لجنة التعليم العربي، لجنة التعليم الصناعي، لجنة تعليم المرأة.
11. – جمعية الطلبة، نشرة محاضر جلسات المؤتمر الأول، المرجع السابق، ص 31.
12. – جمعية الطلبة، نشرة محاضر جلسات المؤتمر الأول، المرجع السابق، ص 85.
13. – نفس المرجع والصفحة.
14. – تأسس نادي الترقي سنة 1927، الواقع بالجزائر العاصمة، وهو أحد النوادي التي لعبت الدور الأساسي في الحياة الفكرية والدينية والسياسية التي عرفتها الجزائر في هذه الفترة، وفيه تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، اشتهر باحتضانه لعدة مؤتمرات منها مؤتمر جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، والمؤتمرات التمهيدية للمؤتمر الإسلامي 1936.

للمزيد أنظر: عمر عيشون، نادي الترقي قلعة الإصلاح الأولى، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الطبعة الأولى، الجزائر، 1987، ص 03.

15. - Le 2eme Congrès des étudiants musulmans nord Africains in en terre d'islam, septembre / octobre 1932, N°56, p.331.

16. – يعد من أبرز شخصيات جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، الذي واصل نضاله بكل حزم وثبات خلال الثورة التحريرية، وشاءت الأقدار أن يعيش بزوغ أشعة شمس الحرية والاستقلال على الجزائر، وظل مسايرا للأحداث إلى أن توفى يوم 19 نوفمبر 1997، بعد مرض عضال ألزمه الفراش في فرنسا.
17. – جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، نشرة أعمال المؤتمر الثاني، مطبعة الاتحاد تونس، الطبعة الأولى، 1932، ص 10.
18. – الطيب العقبي (1888–1960)من مواليد منطقة سيدي عقبة (بسكرة)، سافر إلى المدينة المنورة رفقة أفراد عائلته وهو لا يتجاوز ستة سنوات، وهناك حفظ القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية والفقه، عشية الحرب العالمية الأولى اقتحم ميدان الكتابة حيث كتب في قضايا الدين والسياسة، وأن موقفه المؤيد للشريف الحسين في المشرق العربي كلفه بدخول السجن من قبل السلطات العثمانية، وفي سنة 1920 عاد إلى الجزائر وكان أحد مؤسسي جمعية العلماء المسلين الجزائريين التي واصل فيها نضاله بصفته مصلحا وأديبا.

للمزيد أنظر: أحمد مريوش، الشيخ الطيب العقبي ودوره في الحركة الوطنية، رسالة الماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1993.

19. - Guy, PERVILLE, Les étudiants algériens de l'université française 1880-1962, Ed, du CNRS, Paris, 1984, p.96.

20. – جمعية الطلبة، نشرة محاضر جلسات المؤتمر الثاني، المرجع السابق، ص32.

21. - Le 2eme Congrès, op. cit, p.333.

22. – محمد بلقاسم، رسالة الماجستير، المرجع السابق، ص198.

23. - Le 2eme Congrès, op. cit, p.335.

24. – أحمد مريوش، الحركة الطلابية الجزائرية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحير 1954، رسالة دكتوراه دولة، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، ص 126.

25. – جمعية الطلبة، نشرة أعمال المؤتمر الثالث، باريس، مطبعة الاتحاد، تونس، 1933، ص 06.

26. – جمعية الطلبة، نفس المرجع والصفحة.

27. – المصدر نفسه، ص 19.

28. – يذكر محمد الفاسي أن الحكومة الفرنسية قد منعت في سنة 1932 ما يقارب 50 طالب من مدينة فاس بالالتحاق بالمؤسسات التعليمية بدول المشرق العربي.

29. – جمعية الطلبة، نشرة أعمال المؤتمر الثالث، المرجع السابق، ص140.

30. – يذكر أن الخلدونية سبق لها وأن احتضنت أشغال المؤتمر الأول لجمعية الطلبة المنعقد سنة 1932.

31. – جريدة الأمة، الصادرة بتاريخ 19 / 10 / 1934، العدد 04.

32. – تونس الفتاة، الصادرة بتاريخ 19 / 08 / 1939، العدد 18.

33. – محمد ناصر، مفدي زكرياء شاعر النضال والثورة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الطبعة الثانية، الجزائر، 1989، ص 14.

34. - DESPARMET, (J), le 5eme Congrès des étudiants musulmans nord Africains, in : A.F, décembre 1935, N°12, p. 716.

35. – أبوبكر القادري، مذكراتي، في الحركة الوطنية المغربية بين 19301940، الجزء الأول، الطبعة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992، ص 282.

36. - DESPARMET, (J), le 5eme Congrès, op. cit, p. 718.

37. – في حين أوصى مؤتمر تلمسان عقده بين 7 إلى 12 سبتمبر 1936.أنظر جريدة الأمة، الصادرة بتاريخ 2 أفريل 1935، العدد 26.

38. - MOHANDIS, (L) La situation dans l'Afrique du Nord, in : A.F, Septembre / Octobre 1936, N°08, p. 456.

39. - جريدة الأمة، الصادرة بتاريخ 15 سبتمبر 1936، العدد 20.